تقديـــم

من أين نبدأ و نحن نقدم لهذا الكتاب التأريخي الهام «العربية السعودية.. والغـرب». هل نبدأ من الإشـارة إلى تذكرنا لجهد حثيث بذلناه لإقتناء نسـخة مـن إصداره فـى طبعته الأولى منذ أكثـر من خمس وعشـرون عاماً ، وكلل هـذا الجهد بالفشـل .. إذ كان قد سـبقنا لجمع نسـخه – وأظـن فعل جَمْع هو تعبير دبلوماسـي بديلاً لكلمة مصادرة – قام بها أولي الأمر والصلة بموضوع الكتاب ، وقد كشـف السـتار عـن حقائق تاريخيـة لا يمكن إلا التسـليم بها حول نشـأة المملكة ودور الغرب فى تشـكيلها ، وسـعودتها – نسـبة إلى آل حكمها .

أم تـرى نبـدأ مـن مراحل تطـور هذه البـلاد ، ووضعهـا فى إطـار المنظومة الرأسمالية العالمية رغم ما قد يبدو على السطح من تناقضات فى علاقات النظام الملكـي السـعودي بالغـرب ، لكنهـا – هـذه التناقضات – مـع الاحتكارات الغربية بسبب المبالغة المصطنعة فى حجم المشروعات الاقتصادية التى ينفذها الغـرب، وارتفـاع تكاليفها وما يتبـع ذلك مـن ضخامة ميزانيـات الدفاع عن المملكة ومشروعاتها بما يفوق الواقع بمراحل .

الكتـاب فـى طبعتـه الثانية من إثنى عشـر فصـلاً مكون مـن ثلاثة أجزاء، أولها يحكـي عن تغلغل رأس المال الاحتكاري فى العربية السـعودية، وميلاد النظـام الرأسمالي القومي – وهى مرحلة امتـدت منذ الثلاثينات وحتى خمسـينات القرن الماضي ، و يحكـي ثانيهـا عن رأسمالية الدولة الاحتكارية

وبداية التغيرات الجذرية فى المجتمع السعودي . وهى مرحلة استمرت خلال ستينات وسبعينات القرن الماضى ، أما الجزء الثالث من أجزاء الكتاب فيتحدث عن تأثير رأسمالية الدولة الاحتكارية على تطور المجتمع السعودي فى سبعينات القرن الماضي .

يُرجع الكاتب الفضل فى اهتمام دول العالم كلها بالمملكة البترولية الممتدة فوق رمال الجزيرة العربية إلى الطفرة التى أحدثها البترول فى نمو المملكة فحولت – خلال عقدين من الزمان – البدوي إلى شيخ قبيلة . وشيخ القبيلة الصغيرة إلى رجل أعمال عالمي بعد أن غدت البلاد ساحة مشروعات ضخمة وقد ظلت أمداً طويلاً فى تخلف العصور الوسطى.

تاريخ العربية السعودية منذ أن بدأ عبد العزيز بن سعود أمير نجد فى عام ١٩٠٢ نضاله من أجل إقامة دولة فى الجزيرة العربية ، هو مجموعة من الأحداث المنفصلة كونت فى جوهرها حلقات فى سلسلة التحولات التى شهدها المجتمع، وساهم فى وضعها ونشأتها رأس المال الغربي من خلال تأثيره الواضح تماماً.

مترجم الكتاب الدكتور أنور إبراهيم قدم للمكتبة العربية بهذا الكتاب – وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٨٨ـ جهداً متميزاً متفرداً ، لم نشك للحظة فى إبداع ترجمته ، رغم مقارنات متفحصة لترجمات أخرى صدرت ببلدان عربية لنفس الكاتب – الكسندر ياكوفليف – ولنفس الكتاب، إذ يظل المعلم معلماً، وله منا كل الشكر والإمتنان والتقدير.

يتبقى أن نشير إلى أن الكتاب الأصلي كانت قد صدرت – ونفدت فور صدورها – طبعته الأولى فى نهايات ثمانينات القرن الماضى، إلا أن إعادة طباعته فى نهايات العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين – دونما تعديل

– إنمـا يكمـن فى أمرين : أولهما ماتراه من رصد تأريخى لنشـأة هذه البلدان، وهو أمر تحكيه حقائق التاريخ وحدها، ولا تتغير زمانها. أما ثانيهما فهو الدور المحوري الذى غدت السعودية تلعبه فى الدائرة العربية بعد تراجع دور مصر فى العقـود الأخيرة .. إذ لعلنا نتذكر نشـأة وتطور العربية السـعودية البدوية .. وقد غدت وصية على مستقبل أمة نثق فى أنها ستنهض من عثرتها .. وإن طال الزمان .

دكتور / حسين الشافعى

رئيس مجلس إدارة المؤسسة المصرية الروسية للثقافة والعلوم

رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير أنباء روسيا

يقدم الكتاب تحليلاً لتأثير رأسمالية الدولة الاحتكارية الغربية، وكذلك لتأثير حكومات الدول الرأسمالية الكبرى على التطور الإجتماعى والاقتصادى للعربية السعودية.

المقدمـــة

يرجـع الفضـل فـى هذا الاهتمـام المتزايـد فـى كـل أنحاء العـالم ، بهذه المملكـة البترولية الممتدة فوق رمال الجزيرة العربية ، إلى الطفرة التى حدثت فى نمو العربية السـعودية ، تلك الطفرة التى حولت ، خلال عقدين من الزمان، البـدوى إلى عامـل فى مصنـع حديث للبـترول ، وشـيخ القبيلـة الصغيرة إلى رجـل أعمال عالمـى ، وجعلت من الصحراء المترامية الأطراف سـاحة بناء ضخمة. وكذلـك يرجـع هذا الاهتمام إلى الرغبـة فى فهم هذا التحول الكبير السـريع لهذه البلاد التى ظلت أمداً طويلاً على ما هى عليه من تخلف العصور الوسطى .

دخلت العربية السـعودية إلى المعاصرة عبر بوابة البترول . كان البترول هو أسـاس التطور الهائل لاقتصادهـا وللتحولات الجذرية فى المجتمع ، ولتعاظم أهمية الدولة السـعودية على سـاحة العلاقات الدولية . على أن "المفتاح" الذى فتـح هذه البوابـة أمام تلك المملكـة الصحراوية إلى المعاصرة لم يكن سـوى الغـرب ، بالرغم مـن أننا لا يمكن أن نرجـع كل التغيرات التـى حدثت هناك إلى تأثيره وحده . ولهذا فقد اخترنا تأثير ونفـوذ رأسمالية الدولة الاحتكارية الغربيـة على التطور الاجتماعى الاقتصادى للعربية السـعودية ، موضوع هذا البحـث ، بوصفـه نموذجاً مميزاً للتفاعل بين الغرب ومجموعة دول الشـرق فى الستينيات والسبعينيات .

كذلـك نطـرح هنا تأثـير رأسماليـة الدولـة الاحتكارية علـى التطور الاجتماعى الاقتصادى للعربية السـعودية بوصفه قضية تأثير العالم الخارجى لمجتمـع أكثـر تقدماً على نمـو مجتمع تقليدى متخلف . ولمـا كان الطريق نحـو التطور الاجتماعى المسـتقل مغلقـاً أمام العربية السـعودية ، فقد سـار هـذا التطور بشـكل حتمـى على طريق تكوين شـكل خاص مـن النظام

الاستعمارى هو " المُستعمِر – المستعمرة "وتتلخص فحوى هذا الطريق" فى النفوذ والاندماج النهائى بين العناصر التقدمية المنفردة التى ظهرت فى أعمال الأشكال البائدة ، وبين العناصر الخارجية الجديدة التى تظهر فى الظروف الاجتماعية الاقتصادية التى تغيرت جذرياً . والمضمون الأساسى لهذه التركيبة : هو الانتقال إلى شكل جديد ناتج عن اصطدام المجتمع القائم بالعالم الخارجى . وقد يؤدى هذا الاصطدام إلى ظهور أشكال انتقالية ، وأيضاً إلى انتصار العلاقات الاجتماعية الأكثر تقدماً مع الاحتفاظ – بشكل أو بآخر – ببعض العناصر المناسبة من بين عناصر النظام القديم واستخدامها " (١٢٤: ص ١٩) .

يبحث هذا الكتاب فى "نشاط رأسمالية الدولة الاحتكارية" فى ظروف صراع الإمبريالية من أجل البقاء وبحثها عن الطرق والوسائل لتعزيز مواقع الرأسمالية فى العالم بأسره ، وخصوصاً فى البلدان النامية ، فى الستينيات والسبعينات . وفى السنوات الأخيرة لعب عدد من بلدان الشرق الأوسط ، من بينها ـ العربية السعودية ـ ، دوراً مهماً فى الشئون الدولية بفضل أهميتها الجيولوجية والاقتصادية العالمية . وقد كان من شأن انتقال المصادر الطبيعية الخاصة بهذه البلاد فى فترة محدودة من السبعينات إلى الرقابة القومية تعزيز وضعها الخاص فى العالم الرأسمالى .

ومن البديهى أن أهمية القضايا المطروحة للبحث تعود إلى تناول هذه القضايا من زاوية إمكانات وظروف وآفاق تطور المجتمع السعودي ذاته ، والذى يمكن اعتباره نموذجاً للمجتمعات العربية الملكية المشابهة . ولذلك فقد حاولنا أن نبين واحداً من آليات التطور الرأسمالى للمجتمع الشرقى ، وأن نستخلص من تاريخ العربية السعودية المراحل المشتركة الخاصة بمجموعة الدول العربية المنتجة للبترول مع الإقرار بالملامح السعودية الخاصة .

ويستهدف هذا الكتاب تحليل تلك الفترة المميزة من تطور المجتمع السعودى التى تمت خلالها عمليتان فى آن واحد : انهيار الشكل الإقطاعى الذى لم يكن قد نضج بعد ، وحدوث تطور رأسمالى غير متوازن ازدادت سرعته

وتعقده بتأثير رأسمالية الدولة الاحتكارية ثم اضطلاعها بمهامه . وفى الوقت نفسه اخترنا مدخلاً اقتصادياً تاريخياً مركباً : بحث مشكلات التطور الاجتماعى الاقتصادى للعربية السعودية باعتباره تطوراً لنظام إنتاجى قائم شامل للمجتمع حسب تعبير ماركس ، "يشهد عملية تغير دائم" (٣أ :ص١١). والواقع أن موضوع البحث هو الذى يفرض بدرجة معينة دراسة هذا النظام، دافعاً إلى الصدارة جزئية منه أصبحت هدفاً لتأثير الغرب .

ومن منطلق هذه المشكلة المطروحة للبحث يمكن أن نضع تصوراً للفترات الزمنية الحديثة فى تاريخ العربية السعودية .

الفترة الأولى : المرحلة الأولى : نهايات العشرينات ثم الثلاثينات : المضمون الأساسى لهذه المرحلة هو قيام ودعم نظام الدولة : المجتمع السعودى الإقطاعى المبكر ذو طابع انعزالى لا تربطه بالغرب روابط منتظمة .

المرحلة الثانية :الأربعينات والخمسينات . مرحلة التغلغل النشط لرأس المال الغربى ، وتوطيد مواقعه فى المملكة ، حيث تحولت البلاد إلى شبه مستعمرة ، إلى " غدة إفراز الخام " للاقتصاد الرأسمالى العالمى .

الفترة الثانية ، المرحلة الثالثة : الستينات وبالتحديد (١٩٦٢ ـ ١٩٧٣) : وهى بداية التحول الرأسمالى للمجتمع السعودى : النظام الملكى السعودى يتبنى ـ نتيجة لعوامل خارجية وداخلية ـ برنامج إصلاحات اجتماعية اقتصادية وينتقل إلى استقلال محدد فى السياسة الاقتصادية ، ويُدخل تعديلات على العلاقات شبه الاستعمارية مع رأسمالية الدولة الاحتكارية .

المرحلة الرابعة : السبعينات . تسريع تطور العربية السعودية على طريق الرأسمالية . التغير الجذرى لطابع التفاعل مع رأسمالية الدولة الاحتكارية .

وضرورة هذا التقسيم الزمنى تتأكد إذا ما اقتربنا من تاريخ العربية السعودية الحديث من حيث أنه تاريخ لانقلاب اجتماعى برجوازى ، إذ نرى ـ عندئذ ـ أحداثاً منفصلة عبر تطور المجتمع السعودى تشكل فى جوهرها حلقات فى سلسلة التحولات التى ترتبط زمانياً بالمراحل المشار إليها :

١ـ مرحلة الاتحاد الجبرى للعربية السعودية ووضع مقدمات تأسيس نظام ملكى مطلق (العشرينات والثلاثينات) .

٢ـ مرحلة التحولات الاقتصادية الداخلية التى أعدت لانتقال المجتمع السعودى نهائياً إلى الرأسمالية (الأربعينات والخمسينات) .

٣ـ مرحلة الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التى قام بها النظام الملكى (الستينات) .

٤ـ بداية المرحلة الختامية لقيام الرأسمالية (السبعينات) .

على هذا النحو حاولنا أن نحل مشكلة تحليل تاريخ العربية السعودية الحديث . من وجهة نظر نرى من جانبنا أنها على قدر كبير من الأهمية .

ويولى هذا الكتاب اهتماماً فائقاً لبحث وضع ونشأة رأس المال الغربى الاحتكارى العامل فى العربية السعودية ، والتغيرات فى سياسة الحكومة الإمبريالية ، والاحتكارات الغربية وعلاقتها بالدولة موضوع البحث .

والاهتمام الأساسى فى هذا الكتاب موجه إلى فترة الستينات وفترة السبعينات ، حيث أخذت نتائج التأثير الغربى فى الوضوح بشكل تام ، لكن هذا الكتاب يتناول بالبحث الفترة من الثلاثينات إلى الخمسينات ، وهى الفترة التى بدأ فيها الغرب نشاطه فى العربية السعودية ، تعميقاً لعملية التحليل .

ويتوجه المؤلف بالشكر للسيد ن . أسيمون لإسهامه العظيم فى هذا العمل ، كما يعبر أيضاً عن عظيم امتنانه لكل من "ر . أندريا ، ل . فالكوفسكى ، كويكوف ، ف . أوزلينج و ن . بروشين" لملاحظاتهم النقدية البناءة ولنصائحهم المشكورة .